أثر بنية اللفظ في اللغة العربية على مستوى السلوك اللغوي المعاصر وتحولاته

الأستاذ المساعد الدكتور
رياض كريم عبد الله البُديري
النجف الأشرف / جامعة الكوفة / كلية الآداب

1434هـ - 2013م

أولا: مدخل / في لغتنا الفصحى المعاصرة (قراءة في التصحيح اللغوي)

دلف علماء اللغة ، ومستنبطو قواعدها ، يرصدون اللسان العربي وهو يتلون بلهجات القبائل العربية ، فهذا ينطق (كَثرة) بالفتح وذاك ينطقها بالكسر (كِثرة) . وآخر يقول(مَيْسرَة) بالفتح وغيره(مبسُرَة)فأحسنوا وأجادوا ما صنعوا .وكان للقران

الكريم اليد الطولى في نشر حمايته على العربية ولهجاتها التي نشأ عنها قراءاته المتعددة .

وكان عمل الناس في هذا العلم ،رغبة في الحفاظ على لغة القران الكريم حتى استوى ذلك علماً ناضجاً،رغبة في استواء اللسان عند النطق ليس فقط من الجهة النحوية (الإعرابية).بل من جهة أخرى هي تحقيق حركات الحروف في بنية الكلمة التي تمثل مفاصلها الرئيسة في الارتكاز على نسبتها إلى العربية .

ومن هنا جرى تحكم العلماء بألسن الناس وأصدروا أحكامهم عليها، فهذا لحنٌ ، وتلك رطانةٌ، وهذا عربي ، فصيح أو جيد ، او رديء ، او متروك ، وذاك أعجمي من لغة الموالي ، وهذا معرّّّّّّّّب ، ودخيل ونحو ذلك والمرجع في هذا جميعاً اختلاف حركات بنية المفردة العربية على لسان أهلها الأقحاح مما هو من اختلاف اللهجات العربية المتعددة من ذلك نَحَتَ ينْحَت وينْحِت وشَجَبَ ، يشجِب ،شجُب،يشجُب،وسهَم يسهَم ،ويسهُم ،وفَسَدَ يفسِد وفسُدَ يفسُد . ومنه عَجَزَ وعَجِز ، ودَمَعَ ودَمِع ، ورَعَفَ ورعُف ، ونَفَرَ بمعنى أسرع ويقال في مستقبلة (بالكسر وبالضم) ينفِر وينفُر . وشَتَمَ يشْتِم ويشْتُم ، ولعل من لطيف ما يذكر هنا أنهم يقولون للأسد (شتِيم) لقبح وجهه ، ونعَسَ ، وينعَسُ وينعُسُ و(نَكَلَ) عن الشيء بمعنى جبُن عنه وتأخر ، وقالوا : (نَكِل) وفي المستقبل(ينكُِل) بكسر الكاف وضمها. فهذا نحو من كثير منتشر في لغة العرب ومعجماتها فكان الواجب القصد إليه في تصحيحه وعدم لبسه على الناس .

وثمة قاعدة من نتائج استقراء ابن هشام اللخمي (ت577هـ) أنّ هذا البناء لا يأتي مكسور العين في الماضي ومضمومها في المضارع إلا في بنية أفعال نسبها إلى الشذوذ هي (نكِل ،وفضِل ،بمعنى بقي) ونعِم،وخطِر وشمِل ،ومِتّ ،ودمِت)(شرح الفصيح،ابن هشام،54). وهذا تحكّم في لغة العرب ولهجاتها ، فما القاعدة ليكون هذا شاذاً غير مخالفته لكلام العرب، وكيف يُحكم على ما تكلمت به العرب وما عليه جمهورها بالشذوذ؟.

إن العرب تكلمت بهذه اللغة بما يرقى إلى الاطراد وما هو أكثر من هذا العدد الذي أورده ابن هشام اللخمي ، فقد أورد الليلي في(بغية الآمال في مستقبل الأفعال) اثنى عشر فعلاً من الصحيح وفعلين من المعتل ، وزاد أبو بكر الأندلسي المعروف بابن القوطية (367هـ) في عدد هذا الضرب من الأفعال .فأورد ثلاثة أفعال غير التي ذكرها الآخرون نحو: قزَح قزوحاً وقزِح يقزُح قزوحاً ، وقنَط قنوطاً وقنِط يقنُط قنوطاً ، وقحَل قحولاً وقحِل يقحُل قحولاً (الأفعال 263).

وكان يكمن أن يقال في رسم هذه القاعدة من غير النسبة إلى الشذوذ يأتي الفعل مفتوح العين في الماضي ومضمومها في المضارع وهو مشهور في لغة العرب وقد يأتي مكسور العين في الماضي مضمومها في المضارع.

فالقواعد التي ترصد حركة بنية الألفاظ (من الأسماء والأفعال)مما رسمه علماء اللغة تعمل على هجر اللغة ، وزيادة مواتها عندما ينسَب جزء منها إلى الشذوذ . ولكن عندما يؤخذ هذا الموصوف بالشذوذ على أنه لغة للعرب فإنه يزيد في مرونتها وحيويتها .

وهي لغة للعرب على كل حال قال ابن جني (392هـ) (ليس لك أن تردّ إحدى اللغتين ، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها ، لكن غاية ما لك في ذلك أن تتخيّر إحدى اللغتين بصاحبتها) (الخصائص /398 تحقيق هنداوي).

وقال في موضع آخر ((الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيبٌ غيرُ مخطئ ، وإن كان غيرُ ما جاء به خيراً منه)) (الخصائص 1 /400/ هنداوي) ومن هنا فليس لأحد أن يضعف لغة من لغات العرب الذين احتج بلغتهم العلماء ، وغاية ما يكون عليه الأمر انه ((إذا قلت إحدى اللغتين جداً . وكثرت الأخرى جداً ، فإنك تأخذ بأوسعها رواية ، وأقواهما قياساً)) (الخصائص 398/1/ هنداوي).

لم يلتزم العلماء بهذه القواعد اللغوية في الحكم على لهجات العرب فهذا مجيز ، وذاك مانع ، فكثر ذلك فاختلط الأمر على الناس الناطقين بالعربية وصاروا إلى الخطأ فيها ، فنهض ثلة من العلماء غيرة على اللغة ، وحرصاً على نشر القراءة الصحيحة يعملون على تصنيف كتب اللحن نحو كتاب الفصيح لثعلب ، وإصلاح المنطق لابن السّكيت ، ولحن العوام للزبيدي ونحوها .

وعلى الرغم من ذلك ظلت بعض الأخطاء اللغوية والدلالية شائعة على السن الناس ، ووجدت طريقها إلى عقولهم وملكاتهم اللغوية . ولعصرنا الحاضر نصيبٌ وافر من ذلك لا يقل عن غيره من العصور السابقة له . ونحن ، هاهنا ، نورد أنموذجا من ذلك .

يرد على لسان الناس الفعل (أصدَرَ) فيقال : (أصدر القائد أوامره) والفعل : (أصدَرَ) : مزيد بهمزة أصله الثلاثي صدَر. بمعنى رجَع ومنه قوله تعالى (قالتا : لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخٌ) (القصص 23) ، وقال (يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليُروا أعمالهم)(الزلزلة 6)فالمعنى يرجع الناس إلى ربهم ، ويرجع الرعاء عن الماء إلى ديارهم . ويكون أصدر : أرجع . فهو انحراف باللفظ عن دلالته المعهودة في استعمال العرب الفصحاء فلا يقال : اصدر أوامره بمعنى ألقى او بلّغ ولا يعد تطورا دلالياً لأن الواجب أن يكون المعنى الجديد امتدادا عن الأصل . ومع ذلك لا يجب أن ينظر إليه من جهة الخطأ والصواب فهو من ألفاظ العصر.

والتطور الدلالي حاصل في اشتقاق (لفظ الصادرة الذي يستعمل في التجارة) فإنه يعني (إخراج البضائع بحسب قوانين التجارة) والإخراج إقلاع . ورجع عن الشيء : اقلع عنه ، ولهذا التقارب الدلالي صورة من صور تنمية اللغة بما يتلاءم وحاجات العصر وما أصاب من التطور الذي يحتاج إلى لغة تعبر عنه فالتطور يكون في كل شيء من حياة العصور بما فيها اللغة بل للغة نصيب كبير في هذا التغير. ومن هنا يكون استعمال (الصادرة) فيما يقابل الواردة سليما جداً.

ومن التصحيح اللغوي غير الدقيق في أحكامه ومجافاته للواقع اللغوي التزام جمع(معجم)على معجمات وهو مما جاء في القرآن قياسه على معاجم مثل(موطن) يجمع على مواطن من قوله تعالى:{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ}(التوبة25)وقد كان هذا التحكم يضيق على الناطقين بالعربية في هذا العصر بما لايفيد غير النفور من تحري الدقة في التعبير السليم.

ثانيا/ لغتنا الفصحى المعاصرة.. الوعي اللغوي والثقافة المعجمية:

عرف التصحيح اللغوي ألوانا عدة من مناهج التصحيح أو الحكم بالخطأ في نطق العربية محاولا المسير على سمت الفصاحة التي ورثناها عن الأوائل من العرب الأقحاح سيرا يحاول ضبط حركة بنية الكلمة وجهة البناء والإعراب والتركيب في سياق الكلام ، ولما تنفع فما زال اللحن وعدم الضبط صفة تلازم العصور.

وذلك أن التصحيح اللغوي لايكون إلا بخلق الظروف التي يتكون من خلالها الوعي اللغوي في سلوك الأفراد كإلزام المعلمين والمدرسين بقانون إلقاء المحاضرة باللغة الفصحى في محاولة تقريب المجتمع من الثقافة المعجمية فهناك كمّ كبيرٌ من الألفاظ التي هجرها الناس بسبب الجهل بها فكيف يكون لهم استعمالها وهم يجهلون هالتها المعجمية؟.

وأيضا تقريب الناس من رونق اللغة من خلال حسن تخير الألفاظ وجمال صياغتها الذي يظهر وجهها اللامع والتعامل معها برقة ومن غير تعقيد.

ومن هنا يجب في مثل محاولات التصحيح في تاريخها واستمرارها أن تصدر عن حقيقة المعنى وتاريخ الاستعمال وملاحظة التحول اللغوي تبعا للتحول الذوقي في استعمال اللغة بحسب حاجات العصر ومعطياته مما يكون معه أن تعيش ألفاظ لها جذور قد هجرها العرب وكادت تموت ، أو تتغير دلالة ألفاظ يغلب عليها الاستعمال العصري والذوقي من الحاجة إلى ألفاظ تعبر عن المعاني الجديدة ويمكن ذلك في حدود تعدد المعنى تبعا لتغير حركة بنية لفظه المعبر عنه مما قل أن يلتفت إليه الناس في استعمالهم اللغوي اليومي نتيجة الجهل بهذا التعدد.

إن الألفاظ والتراكيب اللغوية قُدِّرَ لها ،في أصل الوضع،أن تُجَسِّدَ حركة حياة الإنسان وتجربته السلوكية إلى حدٍّ عال من التصوير الذهني في التعبير عنها وهذا القدر من التعبير والتصوير اللفظي البليغ للحياة ومدركات الإنسان فيها يحتاج أن يرافق اتساع وجدان الإنسان بما حوله من الموضوعات في الطبيعة والمجتمع نمو واتساع متساوق في معرفة الإنسان بالألفاظ والتراكيب اللغوية التي تُحْسِنُ تصوير ما حولنا مما نحتاج إلى إدراكه.

وهذا في نفسه بحاجة إلى المعرفة اللغوية المائزة بين المعاني من خلال المعرفة الدقيقة بالجذر اللغوي للألفاظ بما يفصح عن وعي لغوي وثقافة معجمية. من ذلك ما يكون فيه الفعل المضارع الذي يرد ببنية لفظية مختلفة الحركة مع اتحاد الجذر الثلاثي له مما يسند تعليله اللغويون إلى تعدد اللغات فيه وهو في الحقيقة من نتائج اختلاف المعنى وتعدده كاختلاف اللفظ مما جاء معتل العين أو اللام بالواو وبالياء فيكون المعنى حاكم في تعيين الجذر الأصل أهو الواو أم الياء وتفصيل ذلك في التنبه إليه يكون على النحو الآتي:

أ – الفعل (نمى – نما)يستعمل مستقبله المضارع على (ينمو وينمي) ويتصور القوم أن المعنى واحد وأن الألف في ماضيه منقلبة عن (واو أو ياء) وينصرف العالم في جلِّ همه إلى إثبات أنهما لغة فصيحة كما في إصلاح المنطق وصحاح الجوهري، وفي أدب الكاتب، وفي شرح ابن هشام اللخمي لفصيح ثعلب قال في شرح عبارة

ثعلب نمى ينمي:((يعني زاد وقالوا في المستقبل ينمو وينمي وهما لغتان فصيحتان))(شرح الفصيح 48).

لكنه اعتقاد لايصمد أمام التحقيق .فأما أنهما لغة فصيحة فنعم .. وأما أنهما لغتان لجذر واحد فلا.. ذلك بأن الألف في نما ينمو منقلبة عن واو ، وفي ينمي منقلبة عن ياء بدليل الاستعمال في المعنى.

جاء في كتاب الأفعال وفي القاموس واللسان أن نَمَا ينمِي والمصدر نَمْياً تقول: نَمَيْتُ الحديث أسندته ورفعته ،والرجل إلى أبيه نسبته،والنار رفعها وأشبع وقودها،وتقول(نما – نمى)ينمو والمصدر نماءً ونمواً بمعنى الزيادة فيقال نمى الماء نموا زاد،ونمى الحديث نميا رفعه إلى قائله.

وتجدر الإشارة إلى أن عبارة القاموس لم تفرق بين المصدر بحسب المعنى وإنما قال نمى ينمي نَمْيا ونُمِيّا ونَماء ولم يذكر ينمو ومعناه الزيادة ، وخلط أبو بكر الرازي(616هـ) في مختاره المعنى من الزيادة ورفع الحديث في مادة لفظية واحدة هي ينمي ولم يذكر ينمو.

ومن هنا يترشح عندي أن اللفظ مختلف باختلاف المعنى والمصدر بحسب المقصود فحين يراد معنى الزيادة يقال نمى ينمو نُمُوًا وتكون الألف مقلوبة عن واو، ويستعمل لمعنى رفع الحديث والنسبة والإسناد نمى ينمي نَمْيا وألفه مقلوبة عن ياء.

ب – ونظيره النقاء فيقال في فعله(نَقَوَ،ونَقِيَ)فيساوي بينهما الناس بل يكاد(نقو)يهجر أو يُمات بسبب جهل معناه أوالظن المخطوء أنه بمعنى(نَقِيَ)وربما كان ذلك بسبب عدم ذكره في بعض المعجمات ميسورة الاستعمال مثل تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ومختارها للرازي،وكالقاموس فإن الفيروز آبادي(ت 817هـ)رحمه الله يخلطهما ،متابعا الرازي في المختار، في فعل واحد فيذكر الفعل نَقِيَ ويدرج تحته مصادرهما ومعناهما جميعا وهو ليس كذلك.

جاء في كتاب الأفعال لابن القوطية أبي بكر الأندلسي(ت 367هـ)أن (نَقِيَ الشيءُ نَقَاوَةً ونَقَاءً نَظُفَ وحَسُنَ، والرجُلُ نَقِيَ،ذهب لحمه وقلّت سمنته(رشُقَ) ،

ونَقَوَ بمعنى استخرج نَقْيَه وهو المخ الذي في العظم فيقال : نَقَوَ الرجل العظم،ونَقِيَه نَقْوا،وَنَقيا استخرج نِقْيَه(وهو المخ). وأنقى العظم (لازم)صار فيه نِقْيٌ.

ومن هنا يمكن عندي أن يقال أنَّ نَقَوَ بالواو ،وهي أصلية فيه،وقد تنقلب ياءً فتكون نَقِيَ إذ تتغير حركة عين الفعل من الفتح إلى الكسر للانسجام الصوتي بينها وبين الياء المقلوبة عن واو وهي تختلف عن نَقِيَ بمعنى النظافة فالياء أصلية فيه كما يستعمل (نقو) والواو أصلية فيه.

ويؤيد ما ذهبت إليه في تحليل إمكان مجيء نَقِيَ تعليل سيبويه(ت180هـ)عدول القوم من الواو في طوّحتُ وتوّهتً إلى الياء قال:((...ومن قال طَيَّحْتُ وتَيَّهْتُ فقد جاء بها على باع يبيع مستقيمة وإنما دعاهم إلى هذا الاعتدال ما ذكرت لك من كثرة هذين الحرفين(يعني الواو والياء)فلو لم يفعلوا ذلك وجاء على الأصل(يعني الواو) أدخلت الضمة على الياء والواو والكسرة عليهما في فَعُلتُ وفَعِلتُ ... ففروا من أن يكثر هذا في كلامهم مع كثرة الياء والواو ...))(الكتاب 2: 361 بولاق)

ج - ومن ذلك أيضا الجذر(طَوَفَ وطَيَفَ) فيصاغ منهما الفعل طاف على معنيين يفرق فيه بلحاظ المصدر بين اللفظين والمعنيين. فيقال : طاف في البلاد يطوف كقال يقول، كما عن كتاب الأفعال، وصحاح الجوهري، وشرح الفصيح ،والقاموس، واللسان ، والمصدر طَوْفا ، وطَوافا، وَطَوَفانا.وفعل المستقبل منه يطوف قال تعالى:[وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ] (الطور 24) وقال تعالى:[يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ] (الواقعة 17) وهو كذلك في شعر العرب. قال النابغة الذبياني(من الطويل):

على ظهرِ مبناةٍ جديدٍ سُيُورُها يطوفُ بها وسط اللطيمة بائعُ

ويقال: طاف الخيال والمصدر طيفا ، وذكر الفيروزآبادي أنه يمكن طاف الخيال طوفا أيضا، وهو بعيد لأن مستقبله يطيف طيفا كما يقال يبيع بيعا وإنما قال في القاموس طوفا لأنه يجوز عنده طاف يطوف طوفا أيضا وهو من خلط المادة اللغوية مع افتراق معناها ويبدو أن طاف الخيال طوفا هو الأصل عنده قياسا على مات يموت فهو ميت قال:(وإنما قيل لطائف الخيال طَيْفٌ لأن أصله طَيِّفٌ، كميتٍ وهو من مات يموت) ليصح عنده أن المصدر طوفا كما يقال(مات موتا) وهو قياس مع الفارق فإن(ميت) وصفٌ يقابله(طائف) وليس المصدر طيفا قال تعالى:[إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ] (الأعراف 201) وقال تعالى:[إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ] (الزمر 30) وقال تعالى:[ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ] (المؤمنون 15) فالطيف مصدر طاف وألفه مقلوبة عن ياء والموت مصدر مات وألفه مقلوبة عن واو وهما اسمان للحدث فليس طيفٌ(وهو مصدر) كميّتٍ (وهو وصف)لايستويان.

ومرجع ذلك عندي،بالاستقراء، أن كل فعل سلب الإنسان الإرادة فيه عدمنا استعمال اسمي الفاعل والمفعول منه نحو: طال من صار طويلا فلا يوجد طائل،وإن أجازه القياس، وإنما يوجد طويل فاستعملت الصفة استعمال اسم الفاعل والمفعول وكذلك قصر ومات فليس هناك قاصر ولا مائت منهما وإنما استعمل معناهما في قصير وفي ميت ونظيرها الفعل حَسُنَ فهو حَسَنٌ، والفعل حيا حياة فهو حيٌ.

ويبدو أن أفعال السجايا المعنوية، مما ليس له عضو مادي يأخذ حيزه من الوجود كالأذن والعين في السمع والبصر ،كذلك لا يصاغ منها فاعل ولا مفعول نحو كَرُمَ فهو كريم،ولَطُفَ فهو لطيف، ومثلها أديب.

د - ومن ذلك الجذر(طير،وطور) يصاغ منهما الفعل طار على معنيين يفرق فيه بلحاظ المصدر بين اللفظين والمعنيين. فيقال : طار فلان بفلان حام حوله ،كما عن كتاب الأفعال، وصحاح الجوهري ،والقاموس، واللسان، والمصدر طَوْرا. ويقال: طار الطائر والمصدر طيرانا.

وأرى أن الألف من طار بمعنى حام الذي مصدره طورا منقلبة عن واو،وأن طار الذي مصدره طيرانا ألفه منقلبة عن الياء.وذلك يعني افتراقهما في المصدر لافتراق معناهما.

هـ - طَغِيَ يطغى أسرف في الظلم وتجاوز القدر والمعاصي والتكبر في التقلب بنعمة الله، والمصدر طُغيانا(بضم الفاء وكسرها على لغتين) وطغَت البقرة الوحشية طَغْيًا : صاحت .

وطَغا الماء والمكان ارتفع يَطغو طغوا وطُغوانا والطغوة المكان المرتفع(كما في كتاب الأفعال لابن القوطية 320، وعن القاموس 1200)وقد جاء في القرآن منه قوله تعالى:[فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا] (الاسراء60)وقال تعالى:[وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ] (البقرة 15):[وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا] (المائدة 64) وقوله تعالى:[كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا] (الشمس11) والمعنى ادعائها الارتفاع وظلمها فلما كان المعنى مشتملا على الارتفاع والظلم جاء الاسم على الواو جاء عن العكبري(ت616هـ) أن الطغوى فعلى من الطغيان والواو مبدلة من الياء مثل تقوى ومن قال طغوت كانت الواو أصل عنده . ولست أتفق مع العكبري رحمه الله تعالى وإنما الواو في طغوى أصلية ولكن لما كان المعنى المقصود بيان ادعاء ثمود الارتفاع المجرد في الأرض وأنها ظالمة فيكون ارتفاعها ظلما عبر بما أصله الواو للدلالة على الارتفاع وادعاء القدرة في عقر الناقة وعن الظلم بقرينة السياق،والله أعلم.

فالفعل ناقص بالواو وبالياء .وأرى المصدر هو الفارق بين المعنيين ففي معنى زيادة الظلم وارتفاعه يقال طغي يطغى طغيا وطغيانا وهو على الأصل من الياء أبدا . وطغا يطغو طَغْوا وطغوانا فيما هو ارتفاع وتجاوز الحد ممّا ليس بظلم كارتفاع الماء والأرض وتكون الألف التي هي لام ماضيه مقلوبة عن الواو.

و – ضاعه الشيء حرَّكه وأفزعه ومصدره ضَوْعا والشيء انتشرت رائحته، وضاع الشيء ضِيَاعًا : تَلَفَ. فالمعنى مختلف واللفظ مختلف من جهة أن الألف من ضاع بمعنى انتشر وتحرك مقلوبة عن واو ، ومقلوبة عن الياء في معنى التلف.

ز – واللام والهاء والواو جذر للفعل لَها يلهو لَهْوا بمعنى لَعِبَ ومنه قوله تعالى:[لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ] (الأنبياء 17) وهو نظير قوله تعالى:[وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ] (الدخان) ، ولَهِيَ به أحبه ،ولَهِيْتُ عن الشيء لَهَيانًا بمعنى غفلت عنه وهو كالسابق من تفصيل المعنى وافتراق اللفظ .

ح - وهناك الجذر الثلاثي معتل اللام بالياء وبالواو(التاء واللام وحرف العلة الياء أو الواو) فيقال: تَلِيَتْ لي من حقي تَلِيَةٌ وتُلاوةٌ(بضمِّ الفاء) بمعنى بَقِيَتْ ، وتلوتُ القرآن تِلاوة(بكسر الفاء) أتبعت بعضه بعضا، والخبر: أخبرتكه ، والشيءَ :تُلُواً تَبِعْته، والتوالي : الأعجاز ومن الخيل مآخيرها تَلَيْتُه تَلْيَةً : تركته.(ظ:الأفعال لابن القوطية 162 ، والقاموس 1164)

فاللفظ بحسب اختلاف المعنى على جذرين بالواو وبالياء ومعناهما على الضد فبالواو تبعه وبالياء تركه مع اتحاد المصدر على اختلاف حركة الفاء بين الضم والكسر للفرق المعنوي.

ويذهب غير واحد من اللغويين المعاصرين إلى منع استعمال اسم الفاعل منه على معنى الاستقبال الذي يدل عليه اسم الفاعل من أتى فهو آتٍ وحجتهم في ذلك أن التالي هو الباقي خلفك ،والآتي هو القادم في المستقبل وهذا المعنى مستقى من المعنى اللغوي للفظ وليس من البناء الصرفي وذلك أنَّ الفعل أتى لايعني وصل بكامله بل شرع تدريجيا في الوصول فالآتي ليس بمعنى الحاضر بجملته بل بمعنى أنه يحضر أو يقدم تدريجيا.

والتالي هو بمعنى الحاضر المتتابع حتى يكتمل فتقول أتت الشجرة أُكلُها ولمّا ينضج ثمرُها ومنه المصطلح الفقهي الذي يسوقه الفقهاء بنحو الشرط الواجب في صحة الوضوء والصلاة.وهو الموالاة ومعناه التتابع في أفعال الوضوء والصلاة من غير تراخ.

ومن هنا ليس للمنع حظ كبير من الصواب وبيان ذلك على التفصيل التالي/ الآتي.

- تقول : وذلك يكون على الشكل التالي / عندما يكون هذا الشكل بكامله قريبا من فقرة البحث التي أنت فيها تابع لها متتابع في اتصاله بها.
- وتقول: وذلك يكون بحسب التفصيل الآتي/ عندما يكون هذا التفصيل قريبا من فقرة البحث التي أنت فيها ولكن ليس بكامله بل على مراحل كأن يكون التفصيل في نقاط رقمية يتخللها شرح يستغرق اكتماله صفحتين أو أكثر.
- ويقال : بيان ذلك في فقرة البحث الآتية/ أو في الفصول البحث الآتية وليس صوابا التالية .

وذلك يكون بمعنى المستقبل القريب جدا في التالي / والمستقبل القريب المتسلسل في اكتماله أي يتم الوصول إليه على مراحل حتى يكتمل.

ومن هنا يمكن أن يستعملا على تفصيل وهو:

1. أن يقال ملاحظة /أجب عن الأسئلة الآتية /وليس صحيحا التالية.
2. ويقال أجب عن اثنين مما يلي/ ويصح مما يأتي بملاحظة المهلة الزمنية الفاصلة في الوصول والانتقال من الأول إلى الثاني وبالعكس .
3. ويقال في فقرات البحث الآتية / ولايصح التالية.

وليس كل ما كان أحد حروفه حرف علة يشترك بجذره الواو والياء فهو على هذا الشكل من اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين .

فهناك ما يأتي معتل من أحد حروفه بالواو وبالياء ومعناه واحد وهو من سعة العربية وثرائها مما تفتقر إليه اللغات الجزرية الأخرى. ومن أمثلة هذا ما يلي:

1. طاح يطيح طوحا وطيحا،وهو معروف . و يمكن أن تكون عينه على هذا مقلوبة عن الواو في نطق مصدره طوحا وعن الياء في نطقه طيحا وهما لغتان للعرب أشهرهما ما كان بالواو
2. وتاه يتيه تيها وتوها، وهو معروف ومن قوله تعالى:[قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ](المائدة 26) ومنه قول النابغة الذبياني(من الوافر)

ومن يغرِفْ، من النّعمانِ،سَجْلا فليس كمن يُتَيّه في الضّلال

3. طلوت الضبيّ بمعنى ربطته وطليت طليا.
4. وطها اللحم طهوا وطهيا.
5. وطما الشيء طُمُوا وطُمِيا ارتفع.
6. وطحا الأرض طحوا وطحيا بسطها ،ومنه قوله تعالى:[وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا] (الشمس 6)

7. وضارَه ضَيْرا وضَوْرا ضدّ نفعه،ومنه قوله تعالى :[أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ] (الطلاق 16)
8. وضازه حقه منعه ومصدره ضَوْزا وضَيْزا.ومنه قوله تعالى:[أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى] (النجم 21-22)
9. اللام والياء والتاء الجذر الأجوف للفعل لاته حقه حبسه ونقصه ومستقبله يَلِيته ويَلوُتُه، على ما ذكره الفيروزآبادي،ومصدره على زنة فَعْلٍ فيقال لوْتًا وليْتًا ومن هنا تكون ألف الفعل(لات) مقلوبة عن الواو في لغة ذكرها أبو بكر الأندلسي المعروف بابن القوطية(ت 367هـ) وعن الياء في أخرى كما في مفردات الراغب الأصفهاني(ت 502هـ) ومنه قوله تعالى:[وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] (الحجرات 14) وعندي أن لغة الياء أشهر وأقوى على تفصيل لايسعه المقام حاصله أنّ صوت اللام ثقيل يسهل معه الانتقال إلى صوت الكسرة عند نطقه مع الياء المحذوفة في حالة الجزم وهكذا استعملها القرآن ولأنها أخف من صوت الضمة فلو نطقت اللام مع الواو المحذوفة في حالة الجزم لثقل مما يفسد نغم المفردة وتناسقها الصوتي.فلا شك أن نطق يَلِتْكُم(بكسر اللام)على الجزم أخف بكثير من يَلُتْكُم(بضم اللام) وأشد تناسقا. وهذه سنة العرب في بناء لغتهم وملاحظة التناغم الصوتي والميل إلى السهولة فيها كما يقولون في وَطَأ يَطَأ ووَسَعَ يَسَعُ مع أن قياسهما كسر العين وعلل ابن هشام اللخمي ذلك قال: ((وإنما انفتحا من أجل المناسبة مع حرف الحلق))(شرح الفصيح 49)
10. ومثله الجذر الثلاثي اللفيف المفروق للفعل وَلِيَ فهو أصل واحد فيقال: وَلِيَك الشيء قَرُبَ منك، ويقال: وَلِيَ المطر الأرضَ أصابها،و وُلِيَتْ الأرض أصابها المطر والمصدر:وِلاية و وَلاية وفيها معنى النصرة والمتابعة.

هذا قليل من كثير لايسعه المقام وهي طائفة من الألفاظ التي قلما يصدر الناس في سلوكهم اللغوي عن تحقيقها على هذا النحو ؛ذلك لافتقار المجتمع الناطق بالعربية إلى الوعي اللغويّ والثقافة المعجمية فلا يمكن الذي يجهل معنى المفردة أن يميز بين ما أصله الواو وما أصله الياء في نحو طار وطاف وغيرهما.

وإن عُذِرَ عامة الناس فلا عذر لخواصِّهم ولاسيما معلمي العربية والتربية الإسلامية في المدارس الثانوية، والسادة التدريسيين في الجامعات في تخصصات العلوم الإنسانية وجميع ما يتعلق بالقرآن من علومه اللغوية والأدبية والفلسفية والفقهية ولا يسع أحد أن يعيب على الأستاذ العلامة الراحل مصطفى جواد إذ قال: إن أجر المعلمين الذين لايتكلمون بالعربية الفصحى في إلقاء محاضراتهم سحت لأنهم يأخذون أجورا للحفاظ على اللغة وهم يلحنون.

فلنتفاعل مع الحقيقة العظمى التي لاغياب لها وهي أن العربية اليوم هي بنت القرآن فلولا أن ينشر حمايته عليها لتلفت إزاء المحاولات التي تعمل على تغييبها من قبل العرب وغيرهم كدعوة الحكومات كالذي حصل في ليبيا من الدعوة الرسمية من قبل الحكومة إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية.

وهناك من دعا إلى ترك الإعراب .وبإزاء هذه الدعوة قد يضحك البعض من العمل في سبيل ضبط بنية الكلمة.وإنما يعمل المرء على شاكلته ونوع إحساسه بمكانة العربية من بين اللغات السامية إنها مكانة قمة الجبل من واديه.

وتهون مثل هذه الدعوة تجاه مقاومة المثقفين والعلماء لها ولذلك لم يسجل لها السلوك اللغوي أثرا على حياة لغتنا،ولكن هناك محاولات خفية تخرج للمجتمع بصورة تجذب لها النفس الغريزية البسيطة إذ تخرج تلك المحاولات بنظام لغة التلفزيون (المدبلجة) وهي محاولة لتعريب رطانة من خلال بسطها ونشرها لتجد طريقها إلى هوى الناس فتأخذ مكانها بينهم وتكون سلوكا لهم يفرض وجوده ويسمُّ حياة عربيتنا الحبيبة.

وهذا النحو من التداخل اللفظي في بناء المفردة قد لبس معناهما في الاستعمال المعجمي في لغة الفرد اليومية. ولهذا نظائره من الصحيح ولقد تنبه ابن السيد البطليوسي(ت 521هـ) إلى ذلك فصنع كتابه المثلث في المختلف والمؤتلف من الألفاظ والمعاني وقد رصد الألفاظ الثلاثية التي تكون على ثلاثة أبنية تختلف من جهة الحركات وقد تتفق من جهة المعنى مع وحدة الجذر.ومن ذلك مما وقفت عليه في كتب اللغويين ما كان أحد حروفه حرف علة يشترك بجذره الواو والياء فهو على هذا الشكل من اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين

وليس كل ما كان يشترك بحرف العلة كان كذلك فهناك ما يأتي معتلا من أحد حروفه بالواو وبالياء ومعناه واحد وهو من سعة العربية وثرائها مما تفتقر إليه اللغات الجزرية الأخرى. ومن أمثلة هذا أيضا:

11.طاح يطيح طوحا وطيحا،وهو معروف . و يمكن أن تكون عينه على هذا مقلوبة عن الواو في نطق مصدره طوحا وعن الياء في نطقه طيحا وهما لغتان للعرب أشهرهما ما كان بالواو

12.وتاه يتيه تيها وتوها، وهو معروف ومن قوله تعالى:[قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ](المائدة 26) ومنه قول النابغة الذبياني(من الوافر)

ومن يغرِفْ، من النّعمانِ،سَجْلا فليس كمن يُتَيّه في الضّلال

13.طلوت الضبيّ بمعنى ربطته وطليت طليا.

14.وطها اللحم طهوا وطهيا.

15.وطما الشيء طُمُوا وطُمِيا ارتفع.

16.وطحا الأرض طحوا وطحيا بسطها ،ومنه قوله تعالى:[وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا] (الشمس 6)

17.وضارَه ضَيْرا وضَوْرا ضدّ نفعه،ومنه قوله تعالى :[أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ] (الطلاق 16)

18.وضازه حقه منعه ومصدره ضَوْزا وضَيْزا.ومنه قوله تعالى:[أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى] (النجم 21-22)

19. اللام والياء والتاء الجذر الأجوف للفعل لاته حقه حبسه ونقصه ومستقبله يَلِيته ويَلوُتُه، على ما ذكره الفيروزآبادي،ومصدره على زنة فَعْلٍ فيقال لوْتًا وليْتًا ومن هنا تكون ألف الفعل(لات) مقلوبة عن الواو في لغة ذكرها أبو بكر الأندلسي المعروف بابن القوطية(ت 367هـ) وعن الياء في أخرى كما في مفردات الراغب الأصفهاني(ت 502هـ) ومنه قوله تعالى:[وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] (الحجرات 14) وعندي أن لغة الياء أشهر وأقوى على تفصيل لايسعه المقام حاصله أن صوت اللام ثقيل يسهل معه الانتقال إلى صوت الكسرة عند نطقه مع الياء المحذوفة في حالة الجزم وهكذا استعملها القرآن ولأنها أخف من صوت الضمة فلو نطقت اللام مع الواو المحذوفة في حالة الجزم لثقل مما يفسد نغم المفردة وتناسقها الصوتي.فلا شك أن نطق يَلِتْكُم(بكسر اللام)على الجزم أخف بكثير من يَلُتْكُم(بضم اللام) وأشد تناسقا. وهذه سنة العرب في بناء لغتهم وملاحظة التناغم الصوتي والميل إلى السهولة فيها كما يقولون في وَطَأَ يَطَأ ووَسَعَ يَسَعُ مع أن قياسهما كسر العين وعلل ابن هشام اللخمي ذلك قال: ((وإنما انفتحا من أجل المناسبة مع حرف الحلق))(شرح الفصيح 49)[ليت/لَيْتَ: كلمة تَمَنّ، وهي حرف تنصب الاسم وترفع الخبر، مثل كأنّ وأخواتها، لأنها شابهت الأفعال بقوّة ألفاظها واتّصال أكثر المضمرات بها وبمعانيها.ويقال:لَيْتي ولَيْتني،كما قالوا: لَعَلّي ولَعَلَّني، وإنّي وإنّني. قال الشاعر: (الوافر)

كَمُنْيَةِ جابرٍ إذ قال لَيْتي ... أصادفُه وأغْرَم جُلَّ مالي

واللِيتُ بالكسر:صَفْحة العنقِ،وهما لِيتانِ.ولاتَهُ عن وجهه يَلوتُهُ ويَليتُهُ،أي حبسه عن وجهه وصرفه.قال الراجز:

وليلةٍ ذات دُجًى سَرَيْتُ ولم يَلِتْني عن سُراها لَيْتُ

أي لم يمنعني عن سُراها مانع. وكذلك ألاتُهُ عن وجهه، فَعَلَ وأفْعَلَ بمعنًى. ويقال أيضاً:ما ألاتَهُ من عمله شيئاً، أي ما نقَصه،مثل ألَتَهُ. قاله الفراء.وأنشد: (الطويل) (ظ:صحاح الجوهري2: 2)

ويأكلنَ ما أعنى الوَليُّ فلم يُلِتْ ... كأنّ بحافاتِ النِهاءِ المَزارعا

فاللغة ببنيتها اللفظية(مفرداتها)،إذن،قيد السلوك اللغوي من حيثيات الفروق الدلالية الدقيقة وبحسب الحاجة إليها، مقتضيات الذوق اللغوي للناطقين بالعربية.

ثالثا/ لغتنا الفصحى المعاصرة (قضايا لغوية):

تنال المعاني والألفاظ(صور المعاني) قدرا كبيرا من عناية الدارسين قديما وحديثا وذلك لعناية العرب بمعانيها وصورها اللفظية.فالعلاقة هي خطّ ذهبيٌّ تحككه العرب وتديم النظر في إصلاحه ليرقى إلى أجود التعبير عن أغراضهم، ويظهر معانيهم التي يقصدونها بأحسن بيان .

ومن هنا فالحديث في نشأة اللغة ،وإن عدَّ ضربا من الميتافيزيقيا،حديث يتشعب إلى نظريات عدة منها ما يجعل التوقيف والإلهام طريقها،ومنها ما يجعل التواضع

طريقها ومنها ما جعل المحاكاة طريقها (ظ: الصاحبي في فقه اللغة 6.، والخصائص 1 : 94 – 99) وهناك أقوال كثيرة في نشأتها(ظ: الخصائص 1: 414) ما لايعني البحث تكلف عرضها.وقد قررت الجمعية اللغوية في باريس عدم مناقشة هذا الموضوع نهائيا ولم يتعرض له كثير من علماء اللغة لأن البحث فيه مبني على الظن والحدس.(ظ: المدخل إلى علم اللغة109. رمضان، قضايا لغوية 112. كمال بشر)

إنني اليوم –ههنا- استطيع القول في تكوّن هذه العلاقة وأرجو ألاّ تحمل على أنها محاولة في المقاربة بين الفكرة الحرة وبين العقيدة الدينية بأن المرجع في الخلق كله إلى الله ما يوهم أن الإنسان ضعيف لايقدر على خلق شيء فإن الله قد منح الإنسان القدرة على خلق ما يحتاجه واللغة هي جزء كبير من حاجته للتعايش.ما يرجح القول بالتواضع في نشأتها.

من هنا يمكن تكرار القول بأنّ اللغة إلهام ومواضعة. وبيان ذلك ،عندي، أن القصد من الإلهام هو غير التوقيف فإنّ الله فطر الإنسان على تصور شيء يعبر به عن أغراضه، وغرز فيه القدرة على خلقه وذلك قوله تعالى **(وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا/31البقرة)** وذلك بحسب تدرج حاجته إليها وبحسب العصور ومعطياتها وما فيها من التطور بتأثير الأمكنة والأزمنة وظروف الحياة فيها ما قد يؤثر اختلاف الألسنة كاختلاف الألوان لأنه تابع لاختلاف الأمزجة المتأثرة بظروف الطبيعة الخاصة بكل مكان وزمان. وهذا كله يجري في علم الله وقدرته وهو من آياته تعالى قوله(**وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ)**(22الروم) فقال خلق السموات ولم يقل خلق ألوانكم وإنما هو معطوف على جملة خلق السموات والمعنى ومن آياته اختلاف ألوانكم وألسنتكم أي قدرته على ذلك بكيفيات متعددة ومتنوعة والذي أراه أن ذلك يكون على مراحل ثلاث:

1. **<u>المرحلة الأولى:</u>** هي مرحلة طفولة اللغة وبذرتها الأولى إذ أخذ الإنسان بمحاكاة الطبيعة وتقليد الأصوات على حدّ التفصيل الذي ذكره في الخصائص من تحليل نعق في صوت الغراب ونحو ذلك.
2. **<u>المرحلة الثانية:</u>** هي مرحلة الوعي في خلق اللغة من خلال وضع الألفاظ مقابل المعاني وهي تشبه مرحلة تعليم الطفل اللغة وتحفيز فطرته على تصور العلاقة بين اللفظ ومعناه بملاحظة الاستعمال اللغوي من جهة كون اللغة سلوكا غريزيا ينزع تجاهه الإنسان ليعبر عن وجوده وأفكاره.
3. **<u>المرحلة الثالثة:</u>** وهي مرحلة تحكيك اللغة وتهذيب الوضع فيها على حد التطور في إدراك عدد غير قليل من المعاني بحسب المناسبة الفطرية على الحقيقة والتماس المناسبة المجازية من خلال العلاقات التلازمية العقلية والحسية ولو بنحو الارتباط الجزئي وهي مرحلة نقد المعاني وتصحيح الاستعمال فكانت اللغة على هذه الصورة التي بلغتنا عن عرب الجاهلية فيما قبل الإسلام بـ(150 – 200عام)وما زالت حياة هذه المرحلة مستمرة التطور فيما يصطلح عليه المعاصرون بتنمية اللغة.

وفي هذا القدر من عرض فكرة الوضع كفاية للدخول إلى القول بالوضع لتحديد العلاقة بين الموضوع والموضوع له. ولا خلاف فيما عرضه العلماء لطرائقها من

المحاكاة والمواضعة فلسنا بصدد بيان ذلك وعرض تفصيلاته بقدر التساؤل عن كيفية الوضع من جهة تعدد اللغات وجوابه.

وإنّ هذا الأمر في حقيقته قد أثقل على الناطق بالعربية من جهة ،وسنح بمنهج التصحيح اللغوي من غير ملاحظة هذا الأمر فعلى من يبتغي التصحيح اللغوي أنْ يحسن خصائصه الفنية التي أولها معرفة اللغات المتعددة في البنية الصرفية والاتجاه المعجمي والاشتقاقي للمفردة حتى لا يُحكم بخطأ الصواب لجهلٍ بلغاته تماما كما نحترز من الحكم بصواب الخطأ للجهل به ،وزيادة في هذا حتى لايكون التصحيح اللغوي دعوى يزعمها كلّ من هبّ ولايكون كما يسميه بعض المحدثين بحركة التصحيح فهو في أيسر تعريفه : فنٌّ بكلّ ما تحمله هذه المفردة من العلم والأخلاق؛ ذلك بأنّه يشتمل على صفات الحكم ومن هنا يجب أن نتخلق عند إرادة التصحيح بأخلاق القضاء وشروطه .

ومن ذلك ما يجب من ضبط حركة بنية المفردة إذ تتغير تبعا لتغير المعنى الذي تؤديه وهو أمر قصدته العرب بحكمتها ولكن هل وضعت العرب المفردة لمعنيين بتغير الحركة أم أنها وضعت الجذر وتصرفت بالحركة بحسب قدرتها على فنّ الاشتقاق ؟ من ذلك الجذر الثلاثي(الضاد والراء والباء) يدل على معان عدة فهل عمد العرب إلى وضعه بإزاء كلّ معنى مما يدل عليه،وكلمة(كتب) ونحوها هل وضعت لمعنى الفعل ومن ثمّ اشتق لها كاتب؟ ويمكن جواب هذا التساؤل بالقول :إنّ المتكلم بالعربية اليوم يجد نفسه في بعض الأحيان يتصرف باللغة من جهة اشتقاق المفردة ودلالتها على المعاني فيشيع ذلك بين أقرانه ويصبح في معرض الاستعمال وهو لايكترث لقوانين اللغة لأنّ الحاجة إلى الشيء لاتعرف قانونا .

ومن هنا يكون العربي الذي حباه الله بالحكمة والفطنة والسليقة الأصيلة قد عمل في سبيل سدّ حاجته من الألفاظ وموضع فطنته تغيير الحركة في التفريق بين المعاني المدلول عليها بالألفاظ .

من ذلك قولهم في :لهث اللَهَثانُ بالتحريك: العطش، واللَهْثانُ بالتسكين: العطشان. والمرأة لَهْثى. وقد لَهِثَ لَهَثاً ولَهاثاً. واللُهاثُ، بالضم: حُرُّ العطش.قال الشاعر:(على الكامل)

حتَّى إذا بَرَدَ السِجالُ لُهاثها ... وجَعَلْنَ خَلْفَ عُروضِهِنَّ ثَميلا

(ظ: تاج اللغة وصحاح العربية مادة/ لهج)

وليس ذلك في تغيير الحركة بل يتعداه إلى تغيير بنية الكلمة لاشتقاق كلمة أخرى للجذر نفسه من ذلك اللَّهَجُ بالشيءِ: الولوع به. وقد لَهِجَ به يَلْهَجُ لَهَجاً، إذا أُغرِيَ به فثابر عليه.

واللَهَجَةُ: اللسانُ، وقد يُحرَّكُ. يقال: فلان فَصيح اللَهْجة واللَهَجَةِ. ولَهَّجْتُ القومَ تَلْهيجاً، إذا لَهَّنْتَهُمْ وسَلَّفْتَهُم. والْهاجُّ اللبنُ الْهيجاجاً، إذا خَثُرَ حتَّى يختلط بعضُه ببعض ولم تتمَّ خُثورتُه. وكذلك كلُّ مختلطٍ. يقال: رأيتُ أمرَ بني فلانٍ مُلْهاجًّا. والْهاجَّتْ عينه أيضاً: اختلط بها النُعاسُ. وعن أبي زيد: لَهْوَج الرجلُ أمرَه لَهْوَجَةً، وهو أن لا يبرِمه. وشِواءٌ مُلَهْوَجٌ، إذا لم يُنضَج. وقد لَهْوَجْتُ اللحم وتَلَهْوَجته، إذا لم تُنْعِمْ طَبْخَه.فكان في تغيير بنية اللفظ تغيير للدلالة فالهاجّ بمعنى تخثير اللبن

وتخليطه والهاجّ على زنة افعالّ وهو مختلف في المعنى والبنية عن لهج بمعنى الولوع والأمر الجامع بينهما هو الجذر الثلاثي(لهج) .

وقد يكون بزيادة حرف في آخره في نحو ما ذكره الجوهري :طريقٌ لَهْجَمٌ، أي واسعٌ مُذَلَّلٌ. واللَّهْجَمُ: العُسُّ الضخمُ. والتَّلَهْجُمُ، الولوع بالشيء.وهو راجع إلى الجذر نفسه ذي الوزن فعل فصار بالزيادة فعلل فعوملت الميم المزيدة معاملة الحرف الأصلي فكررت له اللام .

ويبدو أنّ هذا الأمر سنة في السلوك اللغوي عند العرب في زيادة الحرف أو الحرفين على الجذر لتغير المعنى بعلاقة رابطة بين المعنى الأول قبل الزيادة والمعنى الثاني بعدها ،ويكون ذلك من غير وجود هذه العلاقة فالعلاقة منتفية بين لهج بمعنى ولع وبين لهجم بمعنى الطريق الواسع ويمكن التماس هذه العلاقة من خلال التأويل والتكلف ولكنه أمرٌ غير حقيقي في تفسير هذه العلاقة.

ومن ذلك أيضا قولهم: لَهَزْتُ القوم، أي خالطتهم ودخلت بينهم. ولَهَزَهُ القَتيرُ، أي خالطه الشيبُ، فهو مَلْهوزٌ. واللَّهْزُ: الضرب بجُمع اليد في الصدر، مثل اللَّكز. ولَهَزَهُ بالرمح، أي طعنه في صدره. ولَهَزَ الفصيلُ ضَرْعَ أُمِّه، إذا ضربه برأسه عند الرَضاع. لَهْزَمَ الشيبُ خدَّيه، أي خالطهما. وقال :(الرجز)

إمَّا تَرى شَيْباً عَلاني أغْثَمُهْ لَهْزَمَ خَدَّيَ به مُلَهْزِمُهْ

ومن الجدير بالذكر أنّ القرآن وهو أعلى مستويات الفصاحة في لغة العرب قد استعمل وكز قال تعالى {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ} (القصص15) والعرب تستعمل لكز ولهز.والوكز في اللغة هو الدفع والطعن والضرب بجمع الكفّ(القاموس المحيط489،485)

فيكون تغير بنية المفردة لازم تغير المعنى وهذا مظهر من مظاهر تصرف العرب في لغتهم ،وهو في نفسه من أوضح علامات قوة هذا اللغة وقدرتها على التعبير عن كلّ ما يحتاجه أهلها وجميع ما يريدون.

ومن ذلك أيضا ما يكون في تغيير الحركة بتغير الدلالة يقال: خثَرَ اللبَنُ بالفتح يَخْثُرُ: قال الفرّاء: خَثُر بالضم لغةٌ فيه قليلة. قال: وسمع الكسائيّ خَثِرَ بالكسر.

ومنه قولهم في الجذر الثلاثي(العين وحرف العلة والجيم)يشتق العرب منه فعلا على بابين لاختلاف المعنى قال ابن هشام اللخمي(ت577هـ)ما كان خفيا فهو(عِوَجٌ)بكسر ففتح مثل الدين وشبهه وما كان ظاهرا يُرى كالعصا ينطق بفتحتين(عَوَجٌ) وفي إصلاح المنطق أنها على كسر العين وفتح الواو فيهما جميعا والذي على الفتح هو المصدر وفعله على الباب الرابع،ومثله الميل فيقال لكل منتصب ظاهر ميل(بفتحتين)وبسكون العين في غير ذلك(شرح الفصيح 153) وإذا رجعت إلى لغة القرآن وجدتها استعملت ميلا بفتح فسكون ثلاث مرات فكان ذلك في موضعين بمعنى الميل فيما هو ليس بظاهر مادي(ظ: النساء 27، 129) ،وفي الثالثة استعمل مصدر المرة فيما هو مادي (ظ: النساء102)ولهذا المصدر قياسه ولم يستعمل المصدر المطلق حتى يظهر البرهان على نقض كلام اللغويين هذا مما يؤكد ما

ذهبوا إليه من ملاحظة ذلك في كلامهم . وجاء في الشعر(على الطويل)(ظ: ديوان الحماسة 2: 100)

ولما بدا لي منك ميْلٌ مع العدا سِوَايَ ولم يحدث سواك بديل

فاستعمل الميل بالسكون مع ما هو معنوي مما يؤكد ما ذهبت إلى ملاحظته في تصرف العرب في لغتهم بتغير المعنى تبعا لتغير حركة بنية اللفظ ولم يكن ذلك في بنية المفردة العربية بل يتعداها ليشمل استعمالها من جهة تأثر المعنى بتعدد ألوان الاستعمال وذلك بحسب العرض الآتي:

جرت طريقة العرب الفصحاء في التصرف بلغتهم بحسب مقتضيات المعنى مما سبق عرضه بزيادة حرف لتغيير المعنى،وكذلك يفعلون بتغيير حركة اللفظ تبعا لتغيير المعنى، أو بتغيير حرف التعدي.وما ذلك إلا ليكون فارقا بين المعاني المتعددة والمتنوعة .

1. ورد الجذر (رغب)وهو دال على الرغبة/ الإرادة وحبّ الشيء وطلبه حين يتعدى بالحرف(في)،ويرد بمعنى الترك والعزوف حين يتعدى بالحرف(عن) ، ويرد بمعنى التضرع والابتهال حين يتعدى بالحرف(إلى) والفارق بين تلك المعاني كلها نوع الحرف الذي يتعلق به الفعل في توجه المعنى بحسب سياقه من البيان عن القصد ،وكلّ ذلك لم يغير من بنية الفعل وحركته فهو بكسر حرف العين أبدا(من الباب الرابع كسر فتح) على الرغم من تعدد معناه بنحو الاشتراك أو التضاد كما يسميه الخليل والمبرد فيما نقل عنهما .فقد أغنى احتياجه الحرف الذي يتعدى به عن تغيير حركته ليكون ذلك رمزا على معناه الآخر.

ولكنّا نجد اختلاف حركته باختلاف معناه فيما لايكون تعديه بالحرف علامة على هذا المعنى قال الراغب(ت502هـ)((يقال رغُبَ – بضم الغين – الشيء اتسع وحوضٌ رغيب))(المفردات 204) وهو هنا لازم فتغيير حركة عين الكلمة تبعا لتغير معناها ،ويمكن تفسير هذا التغير في خصوص هذا الجذر أنّه لما كان بمعنى الاتساع وجذره وسُع لازم بني اللفظ على الباب الذي يغلب في كون أفعاله لازمة وهو باب شرف(الخامس) ومن هنا جعله ابن القوطية(ت367هـ) في باب ما يأتي على(فعُل وفعِل)(ظ:الأفعال126، شرح فصيح ثعلب 94)

2. ومنه الفعل سخر(بكسر الخاء)معناه هزأت فأجاز ابن هشام اللخمي(ت577هـ)أنْ يقال سخرت منه وبه خلافا لجمهور اللغويين(ظ:شرح الفصيح،ابن هشام،94)وأنّ(سخرت)من تسخير الشيء،ومعناه أنْ يُتخذ الرجل كالمسخر تجعله بالخديعة وغيرها مُطيعا لك. ودخلت(من)للتبعيض؛لأنّك لم تسخره كما تُسخر الدواب،وإنّما خدعته عن بعض عقله.وقد يكون ما قاله اللغويون أنّ تعديته بـ(الباء)لغة غير فصحى بل هي لغة العامة وهم يريدون بهذا التعبير أنّ(سخر به)جعله كالآلة للسخرية كما يجعل السوط آلة للضرب فيقول ضربته بالسوط وذلك ما يؤدي إليه الذوق اللغوي مع وجوب التزام لغة الأجداد من سمت الفصاحة.وفي القاموس: (سخر/ بالكسر)منه وبه(ظ: القاموس المحيط378)ويمكن اعتماد قاعدة الترجيح وهو اطراده في التعبير القرآني فقد جاء متعديا بـ(من)كقوله تعالى:{زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا

فَـوْقَهُمْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَاللَّهُ يَـرْزُقُ مَـنْ يَشَـاءُ بِغَيْـرِ حِسَـابٍ} (البقـرة212،وأيضـا الأنعام10،التوبة79،هود38،الأنبياء41،الحجرات11)ولم يرد في النص القرآني متعديا بالباء.

3. وكذلك ورد الجذر(قصف)على الباب الثاني والباب الرابع وذلك بحسب تغيّر المعنى وهو مما يلحظه المفسرون في تفسير قوله تعالى {أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً} (الإسراء69)قال السمين الحلبي(ت756هـ) في درّه في تفسير قاصفا((يحتمل أن يكون من قصَّف متعديا ، يقال قصفت الريح الشجر تقصِفها قصفا))(الدر المصون 7: 386، ظ: أفعال ابن القطاع 408، والقاموس 780)وعليه قول أبي تمام:(على البسيط)

إنّ الرياح إذا أعصفت قصَفت عيدان نجد ولم يعبأن بالرّتَمِ

والمعني على هذا في الآية أنّ الريح المذكورة فيها لا تلفي شيئا إلا قصفته بمعنى كسرته.وجعل له معنى آخر على الاحتمال الثاني : أنْ يكون من قصِف(على الباب الرابع)وهو لازم فيقال قصِفت الريح تقصَف أي صوَّتت والحال واحد من معنى الآية فمتى كان للريح صوت كانت قوية تكسر الشجر ونحوه مما يقع معه الغرق بل هي ريح مخوفة بصوتها لابكسرها الشجر.ومن هنا لم يكن في هذا التغير أثر في معنى الآية ولكنه اختلاف في المعنى على كلّ حال وربما كان من اختلاف اللغات بين القبائل العربية غير أنّ اللغويين قد أغفلوه فلم أقف فيما راجعته من المصادر من يشير إلى أنّ الاختلاف في بنية هذه اللفظة راجع إلى تعدد اللغات فيه . وقد لايكون الأمر دائما على هذا النحو فثمة طائفة مما لايكون لتغير حركته أثر في تغيّر المعنى وذلك بحسب الترتيب الآتي :

1. فمن هذا النحو ما عرضه ابن جني (ت 392هـ)للجذر اللغوي(قنط)من قوله تعالى{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ} (الشورى28)ورد الفعل (قنط) في القرآن الكريم أربع مرات وكان فيها على الباب الثالث أبدا(فتح فتح)غير أنّ ابا الفتح عرض فيه لغتان فقال في تفسير قراءة اسم الفاعل من قوله تعالى{قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ} (الحجر55) إذ وردت في قراءة يحيى والأعمش وطلحة بن مصرف وعن أبي عمرو(القَنِطين/ بفتح القاف وكسر النون والطاء)بإسقاط الألف من القانطين فقال ينبغي أن يكون في الأصل(القانطين)كقراءة الجماعة ،إلا أنّ العرب قد تخفف ألف فاعل في نحو هذا تخفيفا .وبعد أنْ ردّ هذه القراءة بمخالفتها لقراءة الجماعة قال((وقد يجوز في(القنطين)غير هذا، وذلك أنهم قد قالوا:قنط يقنط - ويعني بذلك أن يكون على الباب الرابع- فقد يكون القنطين من قنط يقنط – بكسر ففتح – هذه، ويكون القانطون من قنط.))(المحتسب 2: 5)وهو يشير بذلك إلى باب فرح الذي يصاغ اسم الفاعل منه على وزن ماضيه بكسر عينه.وهذا مما لاأثر له في المعنى .
2. ومنه أيضا في الموضع نفسه قراءة الأشهب(ومن يقنُط/ بضم النون)من قوله تعالى{قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ} (الحجر56)وقد اضطرب أبو الفتح في البيان عن هذه القراءة بتفسير لغة الفعل على الضم فقال((فيه لغات: قنط يقنط – فتح كسر/الثاني - وقنط يقنط – كسر فتح/الرابع- وقنط يقنُط – فتح ضم

/الأول- وقد حُكيت أيضا : قنط يقنط –فتح فتح/ الثالث-))(المحتسب 2: 5- 6) وقد سبق أن ذكرت أنّ هذا الفعل ورد في أربعة مواضع على الباب الثالث ولغة القرآن أشهر اللغات في حين عرض لها على أنها لغة محكية وهذا قد يعني عدم شهرتها وانتشارها فكان عليه تقديم اللغة المشهور وما عليه جمهور القراء أما أنا فلغة الفتح على الباب الثالث هي اللغة عندي فيه، وغيرها لغات يمكن التحدث بها فعدم شهرتها لايخرجها عن كونها لغة للعرب وقد صرح به في غيرما موضع من الخصائص.

3. وذكر مثل هذا الفعل مجموعة من الأفعال نحو(ركن ، أبى ،غسا ، جبا)فكلها على الباب الثالث فالفعل ركن ورد في قراءة الجمهور المثبتة في المصحف على الباب الثالث بفتح الكاف في المضارع قال تعالى {وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً}(الإسراء74) وهو يجعلها كقنط اللغة المحكية وكأنه يرمز إلى كونها غير مشهورة ولم يعلل لذلك بشيء .

ورد في اللغة الجذر(ر ك ن)عن الرازي في مختاره والفيروز في قاموسه: رَكَن إليه من باب دَخَل ،وهو الباب الأول، قال تعالى{وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ}(هود113) وركن أيضاً بالكسر في الماضي وفتح في المضارع على الباب الرابع(رُكوناً).وحُكي في غيرما موضع عن أبي عَمْرو رَكَن من باب خَضَع / وهو الباب الثالث.

وعن الراغب الأصفهاني أنّ ركنت إلى فلان أركن بالفتح فيهما، والصحيح أن يقال: ركن يركِن/ على الباب الثاني، وركن يركُن / على الباب الأول والمضارع فيهما يركن على الفتح شذوذا لركن، كأبى يأبى، وعلى القياس كما في لغة سفلى(مضر): ركن يركن، بفتح الكاف في الماضي، وضمه في المضارع كما في كتاب العين للخليل والأفعال للسرقسطي.(ظ: العين 3: 34، والمفردات للراغب 203، الأفعال 3: 89)وواضح أنّ لغة الفتح عندهم شاذة وهو ما ذكره ابن جني ولست أتفق على هذا فإنّ ما ورد من لغة القرآن هو أفصح اللغات وأيسرها زيادة في أنّ لغة الضم ثقيلة صوتيّا لمجاورتها حرفيْ الراء والكاف وكثرة مؤنتهما.

4. وورد في الموضع نفسه من تعدد اللغات من دون أيّ أثر يذكر على تغيّر المعنى الفعل(ينحت)بالكسر من قوله تعالى {وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ}(الحجر82)وقد جعل أبو الفتح لغة الكسر على الباب الثاني أجود من لغة الفتح فيه على الباب الثالث وهو بهذا يردّ القراءة على لغة الفتح فيه .معللا ذلك بوجود حرف الحلق وهو في غاية الجودة .وذلك للتزاحم الصوتي بينه وبين المخرج الصوتي للفتحة وقد جعلت هذه النكتة طريقا لقياس غيرها مما يشابهها كسحر يسحر.(ظ: المحتسب 2: 6)

جرت طريقة العرب الفصحاء في التصرف بلغتهم بحسب مقتضيات المعنى مما سبق عرضه بزيادة حرف لتغيير المعنى ،وكذلك يفعلون بتغيير حركة اللفظ تبعا لتغيير المعنى. وما ذلك إلا ليكون فارقا بين المعاني المتعددة والمتنوعة .

وكذلك يفعلون بوضع الرموز اللفظية الدالة على المعنى المقصود بتضمين الفعل معنى غير معناه الموضوع بإزائه كاستعماله متعديا بالحرف وهو مما يتعدى بنفسه

عـادة ،أو بـالعكس ،أو بتغييـر نـوع الحـرف الـذي يتعـدى بـه وقـد سـبق أن عرضـنا استعمال الفعل(رغب)الذي يستعمل على حدّ الاشتراك في الدلالة على معان عدة .وأمكن العرب في استعماله تغيير الحرف الذي يلازم كلّ معنى من معانيه في توزيع مواقعه الدلالية .

إنّ ذلك ليدل على مرونة العربية وحذق العربي في التصرف بها وتفصيلها بحسب مقاسات القصد من التعبير وبناء السياق حتى يأتي توزيع اللفظ متوازنا على خارطة استعماله في لغة التخطاب اليومي .

وهكـذا ينبغـي علينـا أنْ نصـنع اليـوم لتظهـر العربيـة قـادرة علـى تلبيـة الحاجـة المعاصرة بحسب معطيات العصر من التطور والنمو الحضاري ،وأن نتوخى الحذر ونحتاط لأحكامنا في رسم مناهج التصحيح اللغوي بتوسيع ثقافتنا المعجمية والاطلاع على القدر الكمي والنوعي في تعدد اللغات وتوظيفها تجاه غناء حياتنا اللغوية .وأنْ نبتعد عن الحكم القطعي ولاسيما إذا وجدنا الأقدمون من أهل الفن في الصناعة اللغوية يختلفون في تلحين لفظ وتصويبه وأرجو أن يتضح ذلك من خلال العرض الآتي من دون أنْ يفهم منه إرادة فتح أبواب الاستعمال اللغوي على مصراعيه من غير ضوابط ،وتقبل جميع اللغات التي تسربت إلى لغتنا المعاصرة ،مع إجراءات تحويرية على اللفظ .

إنني أسعى من خلال هذه الدروس اللغوية إلى تنبيه الوعي اللغوي في التحري والانتقاء عند الاستعمال بحسب قصد المتكلم ومقتضى الدلالة على المعنى الذي يبنى له السياق على هذا النحو أو ذاك وليس غيره لأنّه سيعطينا معنى مغايرا لقصد المتكلم .

من ذلك نستعمل اليوم في لغتنا كلمتي(رقم ،وعدد)من دون ملاحظة التوزيع المعجمي لدلالة هاتين المفردتين بحسب مواقع الاستعمال ومستوى الدلالة .

فالرقم بحسب استقراء جذره اللغوي لا يدل على ما يقابل مجموعة من الأعداد مما هو متعارف عليه في علم الحساب بل هو الكتابة جاء في المعجم الرَّقْم الكِتّابة. قال الله تعالى (كتَّابٌ مَرْقُومٌ).وقد رَقَم الثَّوْبَ والكِتابَ من باب نَصَر ورقَّمَه أيضاً ترقيماً. والرَّقْمة جانِبُ الوادي وقيل الرَّوْضَةُ. والأرْقَم الحَيّة التي فيها سَوَادٌ وبياض. والرَّقيم الكِتَاب. وقوله تعالىَ (أَنّ أَصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيم) قيل هو لَوْحٌ فيه أسماؤُهم وقِصَصُهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما أَدْرِي ما الرقيمُ أَكِتَّابٌ أم بُنْيَانُ؟(ظ: القاموس المحيط 1028،ومعجم غريب القرآن/ فؤاد عبد الباقي)

والعدد هو مجموعة الأعداد في الإحصاء كـ(سبع بنات وتسعة أقلام وخمس وخمسين رحلة)وجاء في المعجم عَدَّه أَحْصاه من باب ردّ والاسم العَدَد والعَدِيد يقال هم عديد الحَصَى. وعَدُّه فاعْتَدَّ أي صار مَعْدوداً واعتَدَّ به. والأيام المَعْدُودَات أيَّام التَّشْريق.(ظ: القاموس المحيط283) ومنه قوله تعالى(فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا)(الكهف 11) وهو واضح

لكننا اليوم نستعمل اللفظ(رقم)خلافا لمعناه المعجمي نستعمله مرادفا للعدد،وقد استعمل المتخصصون في علم الإحصاء والحساب هذا اللفظ للدلالة على(واحد إلى تسع)ويستعمل العدد للدلالة على عشرة فصاعدا وهذا الاستعمال غير معهود في لغة

المعجم فيقصد به عدد فيقال (رقم المركبة)ويقصد عددها المكتوب فيقال رقمها كتب عددها .وهو من لغة التخاطب المقبولة اليوم وليس لأحد رفضه لأنّه فرض نفسه لحاجة المجتمع إليه .

وهكذا علينا أن نتعامل بحذق مع اللغة ونخبر قواعدها في التصرف بها بحسب توزيع مواقعه المعجمية في الدلالة على القصد من الكلام .وفيما يأتي طائفة من نحو هذه الألفاظ التي يظهر عليها أثر الوعي اللغوي في التصرف باللغة عند التعبير عن المعنى في قصد المتكلم :

1. فتقول العرب(يَخفِرُ)/بكسرالفاء وضمها (لغتان)إذا أجار ومنع وآمن وهو على الباب الثاني، و(يُخفِرُ)إذا نقض عهده من خَفَر وأخفر باختلاف حركة حرف المضارعة على اختلاف بين العلماء فأحمد بن فارس(ت395هـ)يراه على ضمّ حرف المضارعة أبدا بمعنى نقض عهده ولست أراه بسديدا لنقضه القاعدة في ضمّ حرف المضارعة في الرباعي نحو أذهب يُذهب ،أصلح يُصلح، ويراه الفيروزأبادي على الضم في الرباعي(أخفر يُخفر)وعلى الثلاثي فبتعديه بالباء نحو خفر به (نقض عهده) بينما يرى الجوهري(يُخفرُ) بمعنى نقض من الرباعي أخفر وهو نفسه يكون بمعنى بعث معه خفيرا/ مجيرا وهذا يعني وقوع التضاد أو الاشتراك(ظ: الصاحبي 376،تاج اللغة وصحاح العربية/خفر،والقاموس المحيط361) والمهم هنا في عرض هذا الجذر أنّ العربيّ يغير حركة المفردة بتغير معناها .
2. ومن ذلك قولهم(لُعنة)بضم الفاء وفتح العين أذا أكثر من اللعن ،وبسكون العين إذا كان يُلعَنُ حتى يكثر لعنه على لسان الناس وكذلك هُزأة وسُخرة .
3. ويقولون (مفتح/ بكسر الميم)للآلة التي يُفتح بها ،وبفتح الميم لموضع الفتح ،وكذلك في مقص على المعنيين بكسر الميم وفتحها ،ومثلهما محلب .
4. ومن دلائل الوعي العربي في التصرف اللغوي عند الاستعمال أنّ المعنى إذا كان فيه قرينة وجدانية مائزة بينه وبين ما يشترك فيه لم يحتج معه إلى قرينة لغوية صرفية في تغيير بنية المفردة فيقولون(امرأة طاهر من الحيض)ولايقولون طاهرة منه لأنّ الرجل لايشركها فيه ،لكنهم يقولون طاهرة من العيوب لوقوع الشركة بينهما .وهكذا يقولون في المرأة المسنة التي قعدت عن الحمل (هي قاعد)ولايقولون قاعدة لعدم الشركة بينهما ولكنهم يقولون (هي قاعدة وهو قاعد)في ما هو مشتق من القعود الذي يرادفه الجلوس .
5. ومن ذلك التصرف أنهم استعملوا الجذر الواحد في معنيين متضادين نحو(قسط)ففي معنى الجور استعملوه ثلاثيا وفي معنى العدل زادوه همزة فيقولون قسط فهو قاسط في معنى الجور ومنه قوله تعالى(**وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) (الجن15)** واسم الفاعل يشتق من الثلاثي على زنة فاعل ويشتق من الرباعي على وزن مضارعه بجعل حرف المضارعة ميما،فيقولون أقسط فهو مقسط إذا عدل وأنصف قال تعالى(**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (الممتحنة8)**وقال(**وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)(الحجرات9)**
ومن الملاحظ أنهم تركوا السياق يكشف عن استعمال مصدره في المعنى المعين

فهو (قسط قسطا ، وأقسط قسطا)قال تعالى(وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ)(الرحمن9)وفي اللغة أنّ القسط بكسر فسكون العدل مصدر قسط يقسِ ُط(على لغتين كسر السين وضمها)قال تعالى(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد25)يعني العدل وهو من أقسط ومصدره كان يكون إقساطا مثل أصلح إصلاحا وأشرف إشرافا.وجعل الفيروزأبادي كسر عين مضارعه بمعنى جار وعدل عن الحق(ظ: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية310- 311،والقاموس المحيط 628)

ومن الملاحظ أنّ المواضع التي استعمل فيه المصدر قد تكفل السياق بالكشف عن معناه المعين من العدل ولم ينصرف فيها الذهن إلى تصور الجور من قسط فهو قاسط.

6 – ومن ذلك في اشتراك مصدر فعلين مختلفين في المعنى(الشرك) فيقال شرك يشرك على الباب الثالث إذا شاركه في الأمر ويقال يُشرك (بضمّ حرف المضارعة)من أشرك جعل له شريكا وفي اللغة شَرِكَهُ في البيع والميراث يَشْرَكُه مثل عَلِمَه يَعْلَمَهُ شَرِكَة والاسم الشِّرْك وجمعه أشْراك كَشِبْر وأشْبار. والشِّرْك أيضاً الكُفْر وقد أشْرَك بالله فهو مُشْرِك. وقوله تعالى (وأشْرِكْه في أَمْرِي) أي اجْعَلْه شَرِيكي فيه.(ظ: القاموس870)

7 - ومن ذلك ما يقع في لغتنا الفصحى من التشابه اللفظي واختلاف المعنى كالتشابه اللفظي والفرق في المعنى بين(حسب) من العدد و(حسب) من الظن فجعلوا اختلاف حركة عين الفعل رمزا على اختلاف معناهما فيكون تعيين الباب برهانا على معناه.

ففي اللغة يقال(حَسَبَه) عَدّه وبابه نَصَر وكَتَب وحِسَاباً أيضاً بالكسر وحُسْباناً بالضم .ومنه قولهم (لِيَكُنْ عَمَلُك بحَسَب ذلك) بفتح السين/ عين الفعل: أي عَلَى قَدْره وعَدَدِه. ويقال(حَسِبْتُه) صالحاً بكسرالسين أحْسِبُهُ بفتح عين مضارعه وكسرها وحِسْبَاناً بالكسر ظَنَنْتُه.ومن هنا فهو بمعنى الظن يكون على الباب الرابع(كسر فتح)أو السادس(كسر كسر)ويكون بمعنى العدّ على الباب الأول(فتح ضمّ)وهذا من مضامين الوعي اللغوي الحاد والتصرف بها عند الاستعمال بحسب القصد .

وكذلك الفعل وجد يستعمل بمعنى الوجدان والحزن وبمعنى الشغف والمائز بين تلك المعاني هو اختلاف البنية الصرفية للمصدر فيقال:(وَجَدَ)مَطْلُوبه يَجِدُه بكسرعين مضارعه على (الباب الثاني)وزاد الفيروزآبادي على ما ذكر الجوهري في صحاحه أنّ في ماضيه لغة أخرى هي كسر عين(وجِد) والمصدروُجُوداً ونقل اللغويون في مضارعه(يَجُد) بالضم لُغَةٌ عامريةً لا نَظير لها في باب المثال، ذلك بحسب استقرائهم ،ودراسة الباحث ديوان اللغة العربية/ معجمها.

ويقال (وَجَدَ) ضَالّته وِجْدَاناً. ووَجَد عليه في الغَضَب مَوْجِدَةً بكسر الجيم ووِجْدَاناً أيضاً بكسر الواو. و(وَجَد) في الحُزْن وَجْداً بالفتح. و(وَجَد) في المالِ وُجْداً ووَجْداً ووِجداً بضم الواو وفتحها وكسرها وجِدَةً أيضاً بالكسر أي اسْتَغْنَى. وأوْجَدَه اللهُ مَطْلُوبَه أظْفَرَه به. وأوْجَده أغْنَاه.(ظ: تاج اللغة وصحاح العربية/ وجد، والقاموس المحيط 306)

والملاحظة الأهم التي تكشف عن معنى هذا الفعل الواقع في شبكة الاشتراك هي

اختلاف مصدره الذي جعله العرب من خلال استعمالاتهم في التخاطب اليومي إمارة على كلّ فرد من معانيه .

وقد سبق في التنبه إلى هذه الملاحظة العلامة اللغوي أحمد بن فارس(ت395هـ) فقال((إنا نقول (وجد)وهي كلمة مبهمة، فإذا صرّفنا أفصحت فقلنا في المال: وُجدا ، وفي الضالة وِجدانا، وفي الغضب مَوْجدة ، وفي الحزن وَجدا))(الصاحبي 310، ظ: شرح الفصيح 101)ومن هنا قد يفوت المصحح اللغوي هذا التنوع الواعي في تصريف هذا الجذر بحسب معانيه المشتركة والمختلفة .

8 - وهذه سنة العرب في بناء لغتهم وملاحظة المعنى ومن ذلك تجدهم قادرين على ملاحظة التناغم الصوتي والميل إلى السهولة فيها كما يقولون في وَطَأ يَطَأ ووَسَعَ يَسَعُ مع أن قياسهما كسر العين وعلل ابن هشام اللخمي(ت577هـ)ذلك فقال:((وإنما انفتحا- يقصد وطأ ووسع - من أجل المناسبة مع حرف الحلق))(شرح الفصيح 49) ويمكن بملاحظة هذه المناسبة أنْ نُعلل استعمال الناس اليوم (شافاك الله ويشافيك) فجيء بالألف من أجل المناسبة بين الفتحة والألف من جهة ولثقل الانتقال من السكون إلى الكسر فصار التحول من شفاك إليه.

وبملاحظة سبب آخر هو أنّ هذا الفعل(شافاك)المعدول به عن(شفاك)لايستعمل إلا في الدعاء بالشفاء وهو منطو على رغبة فيه فيعمد المتكلم إلى بيان التشوق إليه من خلال التناغم الصوتي فيقع تعبير الداعي عن ذلك من طريق الصوت بمد حركة الفتحة في فاء الفعل (شفاك) فتصبح (شافاك)ولم يسمع هذا الاستعمال في لغة العصر في نحو(شافاك الطبيب)وإنما شفاك الطبيب والدواء وشافاك الله تعالى.

وثمة سبب آخر قد يدعو إلى هذا الاستعمال وهو مجاراة الجوار فأنت تقول(عافاك الله وشافاك)كما يقال حياك وبياك وحتى ومتى ونحوها .

9 – ومن ذلك ما عمد إلى إجازته علماء العصر في المجامع اللغوية طلبا لتيسير العربية على الناطقين بها وعلى مستوى سلوكهم اللغوي في التخاطب اليومي وذلك في نحو جمع معجم على معجمات وهو ما يكون قياسه(معاجم) كمقتل مقاتل ومصنع مصانع ومكتب مكاتب ونحو ذلك مما يعدّه بعض من يجهل هذا وذاك من الخطأ لعدم تعرفه على أساليب العرب وحكمتهم في التصرف بلغتهم وإنْ كان يقيس على ماكانوا يستعملونه منها فهو الفصيح وقد أشار أستاذنا العلامة الدكتور نعمة العزاوي في ضرورة تيسير التطبيق اللغوي للناطقين بالعربية وتفسير سلوكهم اللغوي مما عرض له في حلقات أخر.